ثانياً – فروع الأنثروبولوجيا العضوية

تقسم الأنثروبولوجيا العضوية بحسب طبيعة الدراسة، إلى فرعين أساسيين، هما:

١ – فرع الحفريات البشرية :

وهو العلم الذي يدرس الجنس البشري منذ نشأته، ومن ثم مراحله الأولية وتطوره، من خلال ما تدل عليه الحفريات والآثار المكتشفة. أي أنه يتناول بالبحث نوعنا البشري واتجاهات تطوره ولا سيما ما كان منها متصلاً بالنواحي التي تكشفها الأحافير .

ومهمة هذا النوع من الدراسة، هي محاولة استعادة (معرفة) ما نجهله عن الإنسان البائد، وذلك من خلال الحفريات التي تكشف عن بقاياه وآثاره وما خلفه وراءه من أدوات، ومحاولة تحليل هذه المكتشفات من أجل معرفة الأسباب التي دعت إلى حدوث تغيرات مرحلية في شكل الإنسان، الذي أصبح كما هو عليه الآن.

ويحاول العلماء الذين يدرسون هذا الفرع الإجابة عن العديد من التساؤلات التي تدور حول موضوع الإنسان، وكيفية ظهوره على الأرض، ومن ثم كيف اختلفت الأجناس البشرية بفصائلها وسلالاتها وأنواعها. وكيف تغير الإنسان وتطورت الحياة على وجه الأرض إلى أن وصلت لشكلها الحالي / المعاصر.

وقد برهن العديد من الحفريات التي تمت في هذا المجال، على أن الإنسان القديم الذي كان يعيش على هذه الأرض منذ ما يقرب من نصف مليون سنة ، كان يختلف عن الإنسان الحالي حيث كان أكبر حجماً وأقوى بنية، إضافة إلى بروز فكيه وغور عينيه وعرض جبهته .

٢-فرع الأجناس البشرية أو الأجسام البشرية :

وهو العلم الذي يدرس الصفات العضوية للإنسان البدائي (المنقرض) والإنسان الحالي، من حيث الملامح الأساسية والسمات العضوية العامة. ولذا كرس علماء الأجسام معظم جهودهم الدراسة الأصناف البشرية ورصد الفروقات بينها، ومحاولة معرفة الأسباب المحتملة لهذه الفروقات .. ويلاحظ أن اهتمامهم انصب – إلى عهد قريب جداً – على تصنيف الأجناس البشرية المختلفة على أساس العرق، وإيجاد العلاقات المحتملة بين هذه الأجناس.

ويمكن القول : إن التصنيفات العرقية التي طورها علماء الأجناس البشرية، لا تزال تعتمد في المقام الأول على خصائص سطحية بسيطة : كلون الجلد وشكل الشعر. وفي الآونة الأخيرة ، أخذ الاهتمام يتحول إلى فروق أقل وضوحاً وأوثق ارتباطاً بالمشكلات التي نواجهها، كالفروق بين أنواع الدم وبين الأجهزة العضلية وغيرها. ومع بداية الستينات من القرن العشرين، سار علماء الأجسام شوطاً أبعد من ذلك، إذ بدأوا يدرسون الفوارق بين الفئات المختلفة من حيث سرعة النمو، ومن النضوج الجنسي، ومدى المناعة ضد الأمراض. ويمكن القول : إن الكثير من اكتشافاتهم في هذه الميادين، قد يكون ذا قيمة علمية مباشرة، ولا سيما في الدراسات الأنثروبولوجية.

وعلى هذا الأساس، فإن فرع الأجناس البشرية، يدرس التغيرات البيولوجية التي تحصل بين مجموعات إنسانية في مناطق جغرافية مختلفة، على أساس تشريحي ووراثي، وذلك من خلال المقارنة مع الهياكل العظمية للإنسان القديم، والموجودة في المقابر المكتشفة حديثاً. وهذا ما ساعد العلماء كثيراً، في وضع التصنيفات البشرية على أسس. موضوعية وعلمية، يمكن الاعتماد عليها في دراسة أي من المجتمعات الإنسانية .

وتعمد الأنثروبولوجيا العضوية من أجل أن تحقق أهدافها في دراسة أصل الإنسان دراسة تاريخية وفق منهجية علمية، إلى الاستعانة بعلم الأحياء وعلم التشريح، إلى درجة يمكن معها أن يطلق على الأنثروبولوجيا العضوية اسم " علم الأحياء الإنسانية " أي أنها الدراسة التي تتعلق بالإنسان وحده دون غيره من الكائنات الحية الأخرى.

واستناداً إلى ما تقدم، يمكن القول إن الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعية) إنما تدرس تلك الخصائص والملامح العامة للبناء الفيزيقي للإنسان، أو ما يسمى بالبناء العضوي للإنسان. أي أنها تدرس التاريخ العضوي للإنسان الطبيعي، مع الأخذ في الحسبان خصائصه العضوية المختلفة، وملامحه البنائية الحالية والمنقرضة، وبما يعطي في النهاية المراحل التطورية الارتقائية للجنس البشري.

ثالثاً – الصفات العضوية للإنسان وعروقه :

يتصف الإنسان بميزات عضوية خاصة، لا يشاركه فيها إي من الكائنات الحية الأخرى، وتتمثل هذه الصفات في الجوانب التالية:

١–انتصاب القامة والسير على قدمين اثنين .

٢–تركيب الرأس من حيث شكله ومكوناته.

٣–تركيب الجسم، من حيث شكله العام ومقاييس أطرافه الذراعين والساقين ومدى تناسبهما مع الأعضاء الأخرى في الجسم .

٤–محدودية المساحات التي ينبت فيها الشعر، وتحديد أماكن وجودها.

٥–فترة الطفولة الطويلة، مقابل قصرها عند الكائنات الرئيسة الأخرى (الثدييات) .

وعلى الرغم من الصفات الجسمية العامة المشتركة بين البشر، إلا أن ثمة فروقات في تكوين بعضها وخصائصها، والتي تؤثر إلى حد ما ببنية الشخصية الإنسانية، ولا سيما من النواحي النفسية والسلوكية .

وكان من نتائج انشغال علماء الأنثروبولوجيا الجسمية بمسألة العرق، أن اكتسب هذا المفهوم النوع أو العرق رسوخاً أعاق تفكير الباحثين عن الكائن البشري. فالأصناف العرقية البشرية ظلت – إلى عهد قريب – تعتبر كيانات ثابتة نسبياً، وقادرة على الصمود أمام تأثيرات البيئة أو قوى التغير الفطرية.

ويلاحظ أن التطرف في تمجيد فكرة (العرق) أدى إلى فرض عدد محدود من التصنيفات الصارمة على بني البشر الذين يمتازون بتنوع لا حد له، وأدى بالتالي إلى زج الأفراد في هذه التصنيفات بصورة تطمس صفاتهم الأصلية الخاصة. ولو أن عملية التصنيف لوحقت ضمن المجالات المناسبة لها، ومن أجل الأضواء التي تلقيها على تطور الإنسان، ولو أنها أيضاً اقترنت بإدراك طبيعتها – شبه الاعتباطية لكان من الممكن حصر نتائجها في استعمالات عملية مشروعة .

ولكن هذه العملية – ولسوء الحظ تحمل في طياتها نزعة تلقائية إلى المبالغة .. وما ذلك إلا لأن طبيعة التصنيف نفسها، تقتضي اعتبار الشواذ والأشكال المغايرة، كما لو أنها من الظاهرات التي تستحق الاستهجان ومهما يكن الأمر، فإن هذه الأشكال المغايرة هي نفسها التي اكتسبت دلالة خاصة في التطورات الأخيرة لعلم البيولوجيا.

واستناداً إلى هذه الاختلافات الشكلية وأيضاً السلوكية، فقد جرى الاتفاق بين علماء الإنسان على تقسيم البشر إلى ثلاثة أجناس أو عروق رئيسية، وهي:

١- العرق الأبيض (القوقازي) : يمتاز هذا العرق بصفات خاصة في علو الأنف ودقته اعتدال الشفة وبروز الفكين، استقامة العينين، تموّج الشعر وتجعده، وكثرة شعر الجسم وكثافة اللحية ...

ويندرج ضمن هذا العرق : العرق الهندي – عرق البحر الأبيض المتوسط العرق الألبي وسط أوروبا)، العرق النوردي (الإيرانيون، الأفغان، البربر، المصريون، والأثيوبيون).

٢- العرق الأسود (الزنجي) : يمتاز بالأنف المتوسط والشفة الغليظة، والفك البارز بشكل كبير وكذلك بالعيون المستقيمة والشعر القصير العرق ، والرأس المستطيل.

ويمثل هذا العرق : زنوج أمريكا، زنوج أفريقيا الوسطى، والحاميون النيليون في مصر.

٣- العرق الأصفر (المنغولي) : يمتاز هذا العرق ببشرة معتدلة الدكنة، ويتراوح بين اللون النحاسي البني كما عند الهنود الحمر، واللون الأصفر الفاتح كما عند الصينيين الشماليين). كما يمتاز هذا العرق باستقامة الشعر ونعومته إلى حد ما على الرأس، وقلة كثافته على الجسم والذقن

ويمثل هذا العرق : المغول الأصليون (الأسكيمو اليابانيون الكوريون، والصينيون) وكذلك الأتراك والأندونيسيون، والهنود الأمريكيون)

إن هذه الاختلافات الشكلية الظاهرة بين العروق (الأنواع الثلاثة، هي العوامل الأساسية التي يعتمد عليها في الدراسات الأنثروبولوجية، للتمييز بين الأفراد والمجتمعات. إلا أن بعض العلماء يضيفون عاملاً آخر للتمييز بين عرق وآخر يتمثل في القدرات الذكائية (نسبة الذكاء)، مع أن هذا العامل لم تثبت صحته،

حيث أن الزنجي الأسود، على سبيل المثال، لا يقل ذكاء عن الأمريكي الأبيض، في حال وفرت له الظروف النمائية والتربوية المناسبة .